**Fernando Camacho Padilla**

**Teaching Latin America in Tehran**

**تعليم أميركا اللاتينية في طهران**

**فرناندو كامتشو بادييا**

*(*درّسالمؤلفلسنواتعنأميركااللاتينيةفيأسبانياوإيران*.* وعثرعلىصلاتتاريخيةعميقةواهتماممتزايد،لكنهناكمتسعكبيرمتروكلمزيدمنالاكتشافالمتبادل*).*

وصلتُ أول مرة إلى إيران سنة ٢٠١١ بعد أن دعتني جامعة طهران كي أدرّس في برنامج الماجستير للدراسات اللاتينية. أدخلتُ موضوعات ”حقوق الإنسان في أميركا اللاتينية، من الفتح حتى الوقت الحاضر“، و“الفيلم الوثائقي في أميركا اللاتينية“. ولأشهر، كنت مهتماً في معرفة إيران من الداخل، وفي الحقيقة، درّستُ سابقاً أسبوعاً مكثفاً في الجامعة. وبعد أن غادرتُ البلاد حافظتُ على صلات مع الأساتذة والطلاب الإيرانيين الذين التقيت بهم، والذين غالباً ما طلبوا مني المساعدة والنصيحة حول أميركا اللاتينية. ومنذ ٢٠١٥ نمتْ علاقتي مع إيران بشكل جيد.

شكل تدريس موضوع أميركا اللاتينية في إيران تحدياً على مستوى تحديد كيفية إدخال المواضيع بطريقة متاحة ثقافياً وسياسياً، وبسبب افتقار طلابي لمعرفة مسبقة عن المنطقة. رغم هذا، كان هناك طلاب كثيرون يتقنون اللغة الأسبانية. وفي المجادلات داخل الصفوف، لم يكن من غير الشائع سماع الطلاب يستخدمون اللغة الأدبية التي التقطوها من صفوفهم عن ”أدب العالم الناطق بالأسبانية“. وكانت المناقشات منقطة بكلمات من اللغة الأسبانية القروسطية أو مباشرة من صفحات ميغيل دي سرفانتس.

فضلاً عن ذلك، كان يجب أن أكون مستعداً لعدد من التحليلات المفاجئة. فقد علق الطلاب منذهلين على نساء يرتدين ما اعتبروه ملابس مثيرة، في الأفلام والصور والإعلانات التي حللناها. وحين ناقشنا مسألة الجندر في أميركا اللاتينية قالت طالبة أنثى إنه ”خزيٌ وذل أن يُستخدم جسد المرأة لبيع غسالة أو الصودا“. وفي مناسبة أخرى، حين سألتُ الطلاب عن الأسباب الممكنة للعنف والفقر المستمرين في أميركا اللاتينية، أعلن طالب متدين جداً أنها ”إرادة الله“.

\*\*\*

على الرغم من المسافة الجغرافية بين إيران وأميركا اللاتينية، تمتلك المنطقتان سمات مادية متشابهة: ارتفاع الجبال، وجود موارد طبيعية مهمة كالنفط والغاز الطبيعي والنحاس والصحارى والمسطحات الملحية. وتُذكِّر الغابات الوافرة في سلسلة جبال البرز الشمالية بالأراضي المرتفعة التشيلية والبوليفية والأرجنتينية، أو باتاغونيا التشيلية. أما منتجعات التزلج قرب طهران فتشبه تلك التي قرب سانتياغو في تشيلي، بينما يبدو ساحل الخليج الفارسي مشابهاً لبعض الشواطئ في جنوب البيرو. بالإضافة إلى ذلك، إن الأمكنة المدينية والاتصالات في إيران، وكذلك المشاكل والتهديدات التي تواجهها لها ما يماثلها. وتتضمن هذه المسائل كثافة وازدحام المدن والتلوث والمواصلات واللامساواة الاجتماعية. إن الأسلوب الهندسي للأبنية التي بنيت بعد الستينيات (جزئياً بسبب الزلازل) هو تقريباً مماثل للأبينة في المكسيك وتشيلي والبيرو أو كولومبيا. ويصح الشيء نفسه على آبار النفط وحقول الغاز الطبيعي، ومناجم النحاس التي يصادفها المرء حين يتجول في إيران، حيث كثير من الأميركيين اللاتينيين، خاصة المكسيكيين والتشيليين،عملوا قبل الثورة الإيرانية.

**روابط تاريخية:**

تسبقُ الصلة بين العالم الناطق بالأسبانية والعالم الإسلامي استعمارأميركا اللاتينية. ففي عام ٧١١، سهلت شبه الجزيرة الإيبيرية والعالم الإسلامي التبادلات الثقافية والدينية. وتضمن هذا مستوطنات الإمبراطورية الإيبيرية على الساحل الجنوبي لإيران في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكذلك بعثات دبلوماسية مهمة بين أصفهان ومدريد.

ولم يحدث تطبيع وتكثيف العلاقات الثنائية بين إيران والبلدان الناطقة بالأسبانية إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة أثناء حكم محمد رضا شاه بهلوي بين ١٩٤١ و١٩٧٩. وكان النفط هو الدافع الرئيسي لتقوية العلاقة بين إيران وأميركا اللاتينية، لكن كان هناك أيضاً أسباب جيوبوليتيكية لفعل هذا في سياق الحرب الباردة. وقبل الإطاحة بالشاه بهلولي زارت عدة وفود من البلدان الناطقة بالأسبانية إيران، بينما سهلت عدة اتفاقيات تبادل ثقافي صفوف اللغة الأسبانية في جامعة طهران ومدرسة المترجمين (التي صارت فيما بعد جزءاً من جامعة العلامة الطابطائي).

تغير هذا الموقف بشكل كامل بعد انتصار الثورة الإيرانية في ١٩٧٩ والحرب الإيرانية العراقية (١٩٨٠-١٩٨٨). وأغلقت عدة دول أميركية لاتينية سفاراتها في إيران لأسباب أمنية، وتلك التي بقيت مفتوحة لم تعزز التبادلات الثقافية. على أي حال، في الثمانينيات، فتحت كوبا ونيكاراغوا سفارتيهما في طهران وكانتا الدولتين الوحيدتين في العالم اللتين حافظتا على روابط سياسية وثقافية مع البلد كجزء من تحالف جيوبوليتيكي ضد الولايات المتحدة الأميركية.

تصادفت نهاية الحرب الإيرانية العراقية في ١٩٨٩ مع وفاة روح الله الخميني، قائد الثورة الإيرانية، ونهاية الحرب الباردة بسقوط جدار برلين في آن واحد. وحفزت نهاية قصف الطائرات العراقية لإيران، وقواعد جديدة للساحة الدولية، وموقف سياسي محلي جديد إيران على إعادة صياغة سياستها الخارجية مع أميركا اللاتينية. بدورها، قررت بلدان أميركا اللاتينية أن تعاود تأسيس علاقات دبلوماسية مع إيران، إما من أجل دخول أسهل إلى احتياطي البلاد النفطي، أو من أجل البلدان المنتجة للنفط كي تحدد أهدافاً مشتركة وتطور استراتيجيات وتتبادل التجارب. وحاولت البلدان المنتجة للنفط أن تحدد الأهداف المشتركة خاصة من زاوية التفاوض حول بدائل داخل المنظمات العالمية، كالأمم المتحدة والأوبيك، كي توحد قواها ضد مصالح البلدان الغربية، وبشكل رئيسي الولايات المتحد وحلفائها. وعلى نحو مشابه، إن إعادة فتح السفارة المكسيكية في إيران في ١٩٩٢ كان جوهرياً، بما أن المكسيك صارت مُنظِّمة مهمة للمناسبات الثقافية في البلد الفارسي.

على أي حال، بسبب قربها الجغرافي، مالت إيران إلى بناء علاقات أوثق مع أسبانيا أكثر من أميركا اللاتينية. وفي الحقل الأكاديمي، يسافر عدد مهم من الطلاب الإيرانيين إلى أسبانيا لدراسة الماجستير والدكتوراه. والأسباب متعددة: إن كلفة المعيشة والأجور الجامعية بعامة هي أرخص في أسبانيا منها في إيران. وتتضمن دوافع أخرى فرصة تعلم لغة أجنبية غير الإنكليزية، أو أن يصبحوا أخصائيين في اللغة والأدب الأسبانيين، بما أنه لا يوجد درجات دراسات عليا في هذه المواضيع في إيران. فضلاً عن ذلك، إن التقاليد المنهجية للدراسات الشرقية والإسلامية في أسبانيا تفضل التبادل الأكاديمي بين الجامعات الرئيسية في البلدين.

**الصلات في القرن الواحد والعشرين**

في القرن الواحد والعشرين، ووسط العولمة وتوسع الإنترنت، صار لاعبو كرة القدم والمطربون وراقصو الفلامنكو وعازفو الغيتار ونجوم السينما ودمغات الموضة من العالم الناطق بالأسبانية، من ليونيل ميسي إلى أنطونيو بانديراس إلى شاكيرا، صاروا أوثاناً للشباب الإيراني. وبفضل كرة القدم، صار كثير من الرجال الإيرانيين قادرين على تحديد مدن أميركية لاتينية وأسبانية وخاصة برشلونة ومدريد ، ويعرف كثيرون أيضاً الاشتقاقات الأسبانية لأسماء اللاعبين. يميلون إلى معرفة اللاعبين الأسبان والأرجنتينيين بشكل أفضل، لكنهم يعرفون أحياناً لاعبين من جنسيات أخرى يلعبون في الرابطة الأسبانية. ورغم العلاقة المتنامية بين إيران وبعض البلدان الأميركية اللاتينية في العشرين سنة الأخيرة، ما تزال المعرفة حول المنطقة محدودة. وفي تجاربي الخاصة، وبسبب العدد المنخفض للسياح في معظم إيران، يسلم المحليون عادة على السياح الذين يصادفونهم من البلدان الناطقة بالأسبانية، بما أن معظم السياح في البلاد هم من إيطاليا وألمانيا وفرنسا. وحين أخبر المحليين أنني من أسبانيا تتحول المحادثة عادة إلى كرة القدم. ومرة بينما كنت أحاول إيقاف سيارة كي تقلني في وادي ألموت في شمال إيران، سألني أحد السائقين الذي أقلني في الجبال إذا كنت أحب ريال مدريد أو نادي فوتبول برشلونة. وعلى الرغم من أنني لست من المحبين كثيراً لكرة القدم، أجبت أنني أدعم برشلونة. على الفور، وبارتياح، أجاب مازحاً:“ جيد أنك قدمت لي الجواب الصحيح. لو قلت ريال مدريد لأجبرتك على مغادرة سيارتي“.

سمعتُ أسئلة مشابهة أثناء تجوالي في إيران. ومؤخراً، زرت ضريح روح الله الخميني وقال أحد أعضاء الحرس الثوري الإيراني المسؤولين عن الأمن مازحاً ولكن بجدية إن إيران ستهزم أسبانيا هزيمة ساحقة في مباريات كأس العالم القادمة.وحصلت تجارب مشابهة في المرات التي كانت تطلب فيها مني قوى الأمن جواز سفري. لكن في الأخبار الإيرانية، تُذكر البلدان الناطقة بالأسبانية فقط حين تحصل رحلة أو مقابلة دبلوماسية أو نوع ما من المأساة كمثل هجوم إرهابي أو حصول كارثة طبيعية.

إن الإشارات القليلة إلى موضوعات ثقافية أو تاريخية، مكونات صفوف اللغة والأدب الناطقة بالأسبانية، تتعلق بأسبانيا بشكل حصري، وفي معظم الأحيان تركز على الصروح في المدن الأسبانية أو الجغرافيا. وفي الأدب الأكثر حداثة الذي يُدرّس في إيران، ثمة إشارات عابرة إلى الحرب الأهلية الأسبانية، وغزو واستعمار واستقلال الأميركيتين، والثورتين المكسيكية والكوبية، وبعض الأنظمة الدكتاتورية الأميركية اللاتينية. هكذا يطلع الطلاب على بعض أبطالها الأكثر شهرة مثل سيمون بوليفار وإفيتا بيرون وتشي غيفارا.

على أي حال، إن الإشارات إلى أميركا اللاتينية تتعلق بشكل رئيسي بالأدب وخاصة بمؤلفي القرن العشرين المشاهير مثل خورخي لويس بورخيس وأوكتافيو باث وبابلو نيرودا وغابرييل غارسيا ماركيز وميغيل أستورياس وماريو بارغاس يوسا وكارلوس فوينتيس وإيزابيل أييندي ومؤخراً روبرتو بولانيو، وهؤلاء هم المؤلفون الأميركيون اللاتينيون الأكثر شهرة والذين كتبهم متوفرة في اللغة الفارسية. ورغم الاهتمام بهؤلاء المؤلفين فإن الترجمات لا تتم مباشرة عن الأسبانية بل عن الإنكليزية والفرنسية. لا يوجد أخصائيون إيرانيون يركزون على سياسة ومجتمع وتاريخ أو اقتصاد العالم الناطق بالأسبانية، وهكذا فإن المناهج الجامعية مصممة حول اختصاص الأكاديميين الموجودين. بالتالي، إن الدبلوماسيين الإيرانيين الذين عملوا في السفارات الإيرانية في أميركا اللاتينية يشاركون عادة في مجادلات أكاديمية في إيران، خاصة تلك التي تتعلق بالمسائل السياسية والاقتصادية. وأحياناً يعلّمون صفوفاً معينة، خاصة لدارسي الماجستير في برنامج الدراسات الأميركية اللاتينية في جامعة طهران وجامعات أخرى. إن التحدي الرئيسي الذي يواجهونه في في هذا، في الجزء الأكبر، هو أنهم عملوا فقط في بلد أميركي لاتيني واحد، ويطلب منهم تقديم عرض واسع عن المنطقة كلها.

خارج الصف، وبعد الثورة الإيرانية في ١٩٧٩، بدأ الإعلام الإيراني يقدم تاريخ التدخل الأميركي في أميركا اللاتينية من خلال الأفلام والأفلام الوثائقية والتقارير الصحفية وحتى بعض الكتب. وبدأ انشار المعرفة عن السيرورات الثورية في كوبا ونيكاراغوا، وحول الجرائم التي ارتكبتها الأنظمة الدكتاتورية العسكرية المتحالفة مع الولايات المتحدة، خاصة في أميركا الوسطى وبلدان المخروط الجنوبي. وفي ١٩٨٠ قرر آية الله الخميني قطع العلاقات الدبلوماسية مع تشيلي بسبب الطبيعة القمعية للنظام في ظل حكم بينوشيه. وقطع الخميني أيضاً العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وأفريقيا الجنوبية ومصر مورداً أسباباً مشابهة. إن نفي الشاه إلى المكسيك وبنما في ١٩٧٩ لفت أيضاً انتباهاً سياسياً إلى هذين البلدين لعدة أسابيع.

وتعتمد الأفكار والصور التي يمتلكها الإيرانيون عن أميركا اللاتينية اليوم على عدة عوامل، لكن الجيل يبدو الأكثر أهمية. فالناس الأكبر في السن الذين عاشوا فترة الحرب الباردة، يتذكرون معلومات تم تدرسيها في السنوات الأولى للجمهورية وتشمل تاريخ التدخل الأميركي في أميركا اللاتينية، ودوره في انقلابي غواتيمالا وتشيلي ودعمه لعدة دكتاتوريات عسكرية، ومسؤوليته عن انتهاك حقوق الإنسان في ظل هذه الأنظمة. لكن الناس الأصغر، والذين ولدوا بعد نهاية الحرب الباردة، يميلون إلى عدم معرفة سياسة أميركا اللاتينية أثناء تلك الفترة المبكرة.

وما يزال القادة السياسيون، الذين شاركوا في الأعوام الأولى للثورة، ناشطين اليوم ويحافظون على عواطف معادية لأميركا واضحة ويعثرون على نقاط مشتركة مع بلاغة وخطب قادة سياسيين أميركيين لاتينيين من الدول الأعضاء في التحالفالبوليفاريلشعوبأميركاالخاصةبنا، وهي مظمة إقليمية أنشأها المرحوم الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز في ٢٠٠٤، والذي زار إيران عدة مرات بدءاً من ٢٠٠١.وعلى الرغم من أن الضعف الشديد دب في هذه المنظمة في أعقاب انحسار المد القرنفلي، فإن التزامها الإيديولوجي اليساري كناقدة لواشنطن أنشأ قرابة فورية مع المسؤولين الإيرانيين.

كان انتخاب الرئيس محمد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٥) عاملاً جوهرياً في تخفيف التوترات السياسية مع الغرب. وكان أحد الأهداف الرئيسية لسياسته الخارجية ”الحوار بين الحضارات“. سافر خاتمي إلى كوبا وفنزويلا كجزء من البرنامج، وصار أول رئيس إيراني يطأ الأرض الأميركية اللاتينية. وقام خلفه محمود أحمدي نجاد (٢٠٠٥-٢٠١٣) بتكثيف علاقات إيران مع هذين البلدين، ومع بوليفيا ونيكاراغوا والإكوادور حيث قام بزيارتها عدة مرات. ووقّع أحمدي نجاد أيضاً اتفاقيات تعاون مع هذه البلدان، لكن هدفه الرئيسي (بخلاف خاتمي) كان إنشاء كتلة ضد الولايات المتحدة. وفي الأعوام الأخيرة القليلة، قرر الرئيس حسن روحاني (٢٠١٣-) أن يحافظ على الروابط مع عدة بلدان أميركية لاتينية، لكن بخطاب أخف لهجة وأكثر تصالحية وودية يمكن أن يساعد في تحسين صورته في كل من الولايات المتحدة الأميركية وأميركا اللاتينية. وحتى اليوم، إن البلد الأميركي اللاتيني الوحيد الذي زاره الرئيس روحاني هو كوبا، على الرغم من أن وزير روحاني للشؤون الخارجية محمد جواد ظريف سافر إلى أميركا اللاتينية عدة مرات.

وفي العقدين الأخيرين، قدم التلفزيون الإيراني صورة إيجابية عن العلاقة بين إيران والبلدان الأميركية اللاتينية. إن الحضور العالمي للثقافة الكولومبية والأرجنتينية والمكسيكية بموسيقاها وفن أكلها ولاعبي كرة قدمها جعلها معروفة بشكل أفضل في إيران أكثر من بلدان أميركية لاتينية أخرى، رغم أنه سيكون من الصعب بالنسبة لمعظم الإيرانيين أن يحددوا أية ثقافة خاصة بأية بلد منها. وتأتي كمية كبيرة من المعلومات حول أميركا اللاتينية من الأفلام والموسيقى ووسائل ثقافية أخرى، رغم أن كثيراً من الشخصيات من المنطقة تُصور من خلال صورة نمطية سلبية في التلفزيون. ربما يتعلق هذا نوعاً ما بحقيقة أنه رغم الصعوبات الاقتصادية بين طهران وواشنطن فإن معظم المعلومات عن البلدان الأميركية اللاتينية تأتي من الولايات المتحدة.

**العالم الناطق بالأسبانية في الجامعات الإيرانية**

يمكن متابعة الدراسات الأكاديمية في الأدب الأسباني في ثلاث جامعات في طهران: جامعة العلامة الطباطبائي وجامعة طهران وجامعة آزاد الإسلامية. الأولى والثانية جامعتان عامتان تتطلبان درجات عالية جداً للقبول، والثالثة خاصة لا تهم فيها العلامات. وكانت جامعة آزاد الإسلامية هي الأولى التي افتتحت البرنامج الأسباني في ١٩٨٥ كجزء من جهد لتدريب الدبلوماسيين كي ينشئوا روابط مع بلدان أخرى بحيث تكون إيران أقل عزلة على المستوى الدولي. وحصلت هذه التحالفات مع بلدان كانت نزعة المعاداة لأميركا فيها قوية. وكانت الجامعة التالية التي أنشأت برنامجاً بالأسبانية هي جامعة العلامة الطباطبائي في ١٩٩٧ وتبعتها بعد ذلك جامعة طهران في ١٩٩٩. وفي العام الأكاديمي ٢٠١٨-٢٠١٩ افتتحت جامعة العلامة الطباطبائي برنامج ماجستير في الترجمة عن الأسبانية، ركز على اللسانيات والأدب. وخارج طهران لا توجد الأسبانية تقريباً، ورغم أنه من الممكن دراسة الأسبانية في مدارس لغة خاصة كجزء من وظائف تقنية، فإنها تُقدم حصرياً في مستويات أساسية ومتوسطة. ويدخل حوالى ٤٠ طالباً كلاً من هذه الجامعات للدراسة في المستوى الجامعي، وأكثر من ٨٥٪ منهم نساء، وهذا طبيعي حيال التخصصات اللغوية الأخرى الحديثة في إيران. ورغم أن تركيبة الجندر في إيران مشابهة لبلدان أخرى في الغرب، في إيران تقع على الزوج مسؤولية أن يكون المعيل، بينما تدخر الزوجة دخلها. وهكذا فإن مهناً تقنية أو متعلقة بالأعمال يُنظر إليها كمدخل إلى وظيفة مهمة جيدة بينما تقدم الدراسات الإنسانية فقط تعويضاً قليلاً. على أي حال، نظراً للعدد الكبير للناطقين بالأسبانية في العالم، يمكن أن يكون تعلم الأسبانية مفيداً مهنياً. وفي الوقت نفسه، تتسم الدراسات الإنسانية بأنها أمكنة أكثر سلامة وأقل كلفة، وبسبب الظروف الاجتماعية تعتبر أكثر ملاءمة للنساء من الهندسة أو الأعمال والتي يشار إليها بقوة كذكورية.

إن الخلفية الاجتماعية لطلاب الأدب الأسباني متنوعة. فرغم أن معظم الطلاب فارسيون إلا أن هناك أيضاً طلاباً من خلفيات إثنية كالأذربيجانيين والعرب والأكراد والأرمن والسوريين. ويمتد هذا التنوع إلى دينهم. ورغم أن غالبية الطلاب شيعة إلا أن هناك طلاباً سنة ومسيحيين وأرثذوكسيين وكاثوليكيين ويهوداً وزرادشتيين. وينحدر الطلاب من أجزاء مدينية وريفية في البلاد، بما أن التعليم العالي في اللغات الحديثة ليس متوفراً إلا في العاصمة. إن معظم الطلاب من الطبقة العليا والمتوسطة. وامتلكت نسبة قليلة الفرصة للسفر إلى بلدان ناطقة بالأسبانية، إما أثناء العطل، وهجرة العائلة، أو للعمل. وفي حالات أخرى انجذبوا إلى لغة وثقافة العالم الناطق بالأسبانية أو قاموا بالتخصص كجزء من استراتيجية للهجرة إلى بلاد ناطقة بالأسبانية ، إما بشكل دائم أو مؤقتاً. على أي حال، إن عدد الإيرانيين الذين يسافرون إلى العالم الناطق بالأسبانية للعمل ازداد في العقد الأخير، بسبب الاتصال المتزايد من خلال الروابط التجارية والثقافية والسياسية والأكاديمية وغيرها.

ومنذ العام الدراسي ٢٠٠٩-٢٠١٠ قدمت جامعة طهران (حيث أقوم بالتدريس) برنامج ماجستير لمدة عامين في الدراسات الأميركية اللاتينية دعمته الحكومة لتقوية العلاقات مع المنطقة. وارتُجلت موضوعات البرنامج أثناء الدروس التي قدمها الأساتذة من كلية الدراسات العالمية وأساتذة آخرون، معظمهم أجانب، وخاصة من المكسيك وكوبا أو أسبانيا، وأيضاً دبلوماسيون إيرانيون. وهناك حوالى ١٥ طالباً من كل دفعة يذهبون للعمل في هسبان تي في، وهي محطة تلفزيونية في طهران تقدم محتوى باللغة الأسبانية. ويعمل آخرون كمدرسي لغة أسبانية في مؤسسات خاصة، بينما يعمل آخرون في عدة وظائف في الوقت نفسه. وتنجح مجموعة صغيرة بمغادرة إيران وتبدأ بدراسة الدكتوراه بعد دراسة الماجستير، عادة في المدن الأسبانية كمدريد وبرشلونه وأليكانتي وسلمنكا وملقة أو سانتياغو دي كومبوستيلا. ويعودون عادة لدراسة اللسانيات أو الأدب لزيادة فرص الحصول على عمل أكاديمي ثابت لدى عودتهم إلى إيران. وأحياناً، يتم توظيف الطلاب والمتخرجين كمترجمين خاصين أو حكوميين خاصة في الشركات التكنولوجية والأعمال أو النشر.

إن الهدف الرئيسي لطلاب الدراسات الأسبانية والأميركية اللاتينية هو الاستقرار في بلاد ناطقة بالأسبانية، خاصة أسبانيا. على أي حال، هناك قلة محدودة تستطيع البقاء في أسبانيا بسبب صعوبة الحصول على تأشيرة طلابية. وتشكل أميركا اللاتينية خياراً فقط للطلاب الأكثر إقداماً. ورغم أن الحصول على تأشيرة سهل نسبياً، إلا أن البعد الجغرافي، وكلفة بطاقة الطائرة والعنف، وخاصة الافتقار لفرص مهنية على المدى الطويل والقصير، يجعلون هذا الطريق غير محبذ.

وبشكل عام، إن طلاب الماجستير في برنامج الدراسات اللاتينية يمتلكون معرفة قوية عن المنطقة حين يبدأون، بغض النظر عن الذين سافروا إليها مراراً. وهؤلاء الطلاب هم عادة أبناء الدبلوماسيين أو الذين شاركوا في برامج تبادل ثنائية، غالباً في التكنولوجيا. وبعيداً عن السفر يأتي الكثير من اطلاعهم من الأدب الذي قرأوه في الكلية وأثناء الدراسات العليا. وتُوزع مواد القراءة هذه عادة كصور أو كتب مقرصنة (لأن العثور على النسخ الأصلية صعب بسبب القيود التي يفرضها الغرب على إيران) لكن الأفلام الوثائقية والإعلام والتقارير التلفزيونية يلعبون دوراً أيضاً. ويقوم المراقبون بمراجعتها كلها، ذلك أن الحكومة الإيرانية تراقب المواد في كل المنابر الإعلامية لتقييد المحتوى السياسي وتنظيم الموضوعات الأخلاقية والدينية.

إن هسبان تي في هو أحد المصادر الرئيسية للمعلومات عن أميركا اللاتينية في الجامعة، بما أن هذه المؤسسة تملك استديوهات للتسجيل في عدة بلدان أميركية لاتينية بالإضافة إلى الاستديو الرئيسي الخاص بها في طهران. ويفصل وجود هسبان تي في إيران عن بلدان شرق أوسطية أخرى بما أنه واحد من القنوات الوحيدة من نوعه. ولهذه الأسباب، إن المخيال الأميركي اللاتيني بالنسبة للطلاب الإيرانيين مليء بالصور النمطية التي تروجها الثقافة التجارية التي تأتي من الولايات المتحدة الأميركية وبلدان غربية أخرى. وتؤثر المعلومات في الإعلام الإيراني أيضاً في الأفكار عن سياسة أميركا اللاتينية. إن المدخل إلى الإنترنت والمشاهد التلفزيونية في الموقع التي يعدها هسبان تي في تُظهر بشكل واسع التنوع الجغرافي والثقافي واللغوي والديموغرافي والاقتصادي للمنطقة.على أي حال إن هذه المصادر تفتقر إلى التحليل والتأمل في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أميركا اللاتينية.

يؤثر هذا في التحليل النقدي للطالب. فضلاً عن ذلك، إن الخطاب المضاد للإمبريالية المبسط والذي يُروّج له الإعلام الإيراني يعرقل ويشوه السيرورات التاريخية لأميركا اللاتينية. فالمعلومات التي يستهلكها الطلاب من خلال القنوات الغربية والإيرانية لا تمثل أميركا اللاتينية في عمقها، ولا تتلقى الثقافة إلا انتباهاً يسيراً.

وبسبب الافتقار العام للمعرفة تأتي النقاط المرجعية للطلاب من مقارنة تجاربهم الشخصية وبيئتهم مع ما يتعلمونه في الصف. وهكذا فإن الدين يلعب دوراً جوهرياً في تأملهم وتحليلهم. وتُقارن أحياناً الممارسات الدينية الأميركية اللاتينية بالإسلام الشيعي، لكن بعض الطلاب ينظرون إلى المشكلات الاجتماعية في أميركا اللاتينية كالجريمة والعنف وتهريب المخدرات وتعاطيها كنتيجة للانحطاط الأخلاقي الغربي والافتقار للقيم حول الجنسانية والطلاق والحمل خارج نطاق الزواج. وفي وجهة نظرهم، لا تحدث هذه المسائل في إيران بسبب الاستقامة الأخلاقية للأعراف الثقافية للبلاد. وبشكل عام، إن العواطف القومية في إيران قوية وحين يناقش الطلاب الواقع الأميركي اللاتيني يشيرون إلى قيمهم الخاصة.

مثلاً، حين يناقش الطلاب دور الولايات المتحدة أو الدكتاتوريات العسكرية الأميركية اللاتينية يشيرون بسرعة إلى نظام الشاه أو إلى الانقلاب ضد محمد مصدق في ١٩٥٣. وحين تُطرح مسألة السكان الأصليين في أميركا اللاتينية يناقش الطلاب الإيرانيون أوضاع جماعات إثنية مختلفة في إيران، وأهمية الموارد الطبيعية، والبيئة وحقوق الإنسان.

وبسبب التشابهات في المشكلات والصعوبات التي تواجه البلدان الأميركية اللاتينية والجمهورية الإسلامية، ليس من الممكن دوماً مناقشة مسائل سياسية معينة دون جعل الناس يشعرون بالراحة أو غالباً يتأذون. بالتالي، كان علي أن أستنبط طرقاً مختلفة للتعليم لتجنب المشكلات المحتملة مع سلطات الجامعة. وهذا تحد لا يوجد في بلدان فيها درجات أكبر من الحرية الأكاديمية واستقلالية مؤسساتية أكبر عن الحكومة، حيث يستطيع الأستاذ أن يطبق المناهج الأكثر ملاءمة لأهداف الصف، دون القلق من ردود الفعل الأكاديمية أو السياسية المحتملة. أخيراً، إن اللغة الأصلية للطلاب ليست الأسبانية مما يجعل من الضروري تعديل مستوى اللغة واستخدام استراتيجيات تعليمية لتسهيل الفهم.

حين يتم تأسيس دينامية لصف جيد ويتمكن الطلاب من الانخراط مع المحتوى الأكاديمي، يكون هذا مفيداً جداً. ويعبر الطلاب عن امتنانهم وسعادتهم بكرم كبير. ويمكن أن تسهّل النتائج الممتازة لهذا التعاون المزيد من التبادل بين الجامعات الإيرانية والأسبانية. وفي الحقيقة، إن اتفاقاً تم مؤخراً بين الأساتذة والطلاب يقوم بخطوات نحو زيادة عدد برامج التبادل بين البلدين، مما سيسهم في علاقة أشمل ويحقق المزيد من الفهم المتبادل عن المجتمعين وكذلك تواريخهما المشتركة. أعتقد أن هذه التجربة ستخدم كمثال لإنشاء المزيد من برامج التعاون الجامعي بين أميركا اللاتينية وإيران.

*\**فرناندوكاماتشوبادييامنإشبيليا،أسبانيا،يحملدكتوراهفيالتاريخمنجامعةأوتونومافيمدريدوجامعةبونتيفيسيايونيفرسيدادالكاثوليكيةفيتشيلي*.* منذ٢٠١٥يحاضرفيجامعةأوتونومافيمدريد*.* صدرلهمؤخراًكتاببعنوان

*América Latina, Suecia por Chile. Una historia visual del exilio y la solidaridad 1970-1990.*